خطبة : في التاريخ عبرة للحاضر

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

التاريخ دروس وعبر ، وللتاريخ دورات تتكرر عبر العصور ، تحكمها سنن ربانية ، من فقهها وآمن بها ، وعمل بمقتضاها ، وتعامل معها وفق أسبابها ومسبباتها ونتائجها ، حاز زمام المبادرة ، وأدرك أسباب النصر والتمكين والحضارة ، ومن عاكسها وخالفها تردّى في مهاوي الذل والهزيمة والردى ،

وهذا مصداقٌ لقوله تعالى " اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43).

ومانراه اليوم من هرولة جبن و خيانة لإتفاقيات ذل وعمالة مع الصهاينة والصليبيين الجدد يستوجب علينا إستجلاء الحق بتدّبر كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والإستبصار بأحداث تاريخ المسلمين ودروسه ،

اقرؤوا التاريخَ إذ فيه العِبَر.... ضلَّ قومٌ ليس يَدْرُون الخَبَر

واليكم عباد الله هذا الحدث التاريخي ، سقوطُ مملكةٍ عظيمةٍ من ممالك المسلمين كان سقوطُها إيذانا بسقوطِ الأندلس ، وإنتهاءِ العصر الاسلامي بعد أربعة قرونٍ للحضارة الاسلامية ، لولا أن المسلمين تداركوا الأمر وعادوا للأخذ بسنن الله في النصر والتمكين والعزة ، من الجهاد في سبيل الله والوحدة والقيادة المؤمنة ، فامتد حكمهم لثمانية قرون ،،

إنه سقوط طليطلة عباد الله ففي سنة (478هـ= 1085م) هذا الثغر الإسلامي الأوسط في بلاد الاندلس

تلك المدينة العظيمة التي كانت عاصمة للقوط النصارى قبل دخول المسلمين في عهد موسى بن نصير وطارق بن زياد ،  طليطلة التي فتحها طارق بن زياد بستة آلاف مجاهد جاءوا لنشر الاسلام بتلك الربوع ،،

 طليطلة ذاك الثغر الذي كان يستقبل فيه عبدالرحمن الناصر أيام حكم الأمويين للأندلس الجزية من بلاد النصارى، ومنه كان ينطلق هو ومَنْ تبعه من الحكَّام الأتقياء لفتح بلادهم في الشمال.

فكيف سقطت طليطلة عباد الله رغم حصانتها وموقعها في وسط الأندلس ؟

كان تفرق المسلمين لدولٍ وممالكٍ فيما سُمي بعصر ملوك الطوائف ، إثنان وعشرون مملكة لكل منها ملك ، يتناحرون فيما بينهم ويستعين بعضهم بالنصارى على بعض ، ويعقدون معاهدات ذل وهوان يدفعون بسببها الجزية بعد أن كانت تُدفع للمسلمين في عصور العزة ،،

هذا العصر كان مقدمةً لسقوط طليطلة بل وسقوط الأندلس كلها ، أما السبب المباشر لسقوطها فكان لجهل حاكمها المأمون ابن ذي النون ، ولسطوة شهوة السلطة عليه ،

وإعراضه عن حقائق القران ووصايا النبي صلى الله عليه وسلم ، ربنا جلّ وعلا يقول " وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120 البقرة )

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول " (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) ( رواه احمد و ابوداود وصححه الالباني ) "...

ولكن هذا الحاكم - كما هي حال بعض حكام العرب اليوم - أعرض عن هذا النور المبين

واستضاف الفونسو ابن حاكم قشتالة ممكلة نصرانية شرق الاندلس الذي أثقل كاهله وكاهل المسلمين بالجزية والغارات والإتاوات، يستقبل ابنه الهارب عنده في طلبطلة تسعة شهور ، تعرّف خلالها هذا الخائن على المدينة بكل تفاصيلها ، وأخذ عليه العهد أن يحفظ له ملكه على طليطلة اذا رجع لمملكته ، فأعطاه الفونسو عهده ،

وغفل هذا الحاكم الساذج عن غدر أولئك النصارى وأنهم لاعهد لهم ولاذمة ،،

مات المامون وخلفه حفيده القادر الذي أحاط نفسه ببطانة السوء فأساء في حكمه وأفسد ، وأبعد المصلحين الناصحين وقرّب ذوي الأهواء والمفسدين ، فما إستقر له الحكم ، وثارت عليه الحروب فاستنجد بألفونسو مذكّراً إياه بما قدمه له جده حين استضافه ،

وتمت له النجدة وأعاده هذا النصراني لطلبطلة حاكما ، لا ليستقر بها ، ولكن ليحاصره بعدها ويقتطع أملاكه قطعة قطعة ، ثم ليحتل بعدها طليطلة ويخرجه منها ذليلا مهزوما ،

و سقطت طليطلة وغدت عاصمة للنصرانية،  واهتزَّ العالم الإسلامي في الشرق والغرب، صَوِّر ذلك الشاعر ابن عسال بقوله:  الثَّـوْبُ يُنْسَـلُ مـِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى \*

ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولاً مِنَ الْوَسَطِ مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لاَ يَأْمَنْ بَوَائِقَهُ \*

كَيْفَ الْحَيَـاةُ مَـعَ الْحَيَّاتِ فِي سَفَطٍ

فمالذي حدث بعد هذا السقوط ؟ وكيف استعاد المسلمون طليطلة ؟ وهل استعادوها بالاتفاقيات والمفاوضات كما يفعل البعض اليوم ؟؟

هذا ماسنعرفه في الخطبة الثانية

وفقنا الله تعالى لمايحب ويرضى ، وأعاننا على البّر والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

أدرك المسلمون عظم الخطر المحدق بهم بعد سقوط طليطلة ، وثاب بعض ملوك الطوائف لرشدهم ، وأيقنوا بأن سقوط دويلاتهم قادمٌ لامحالة ، فاستنجد العلماء بزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ليقدم للأندلس ويواجه الفونسو السادس ، وإستجاب رحمه الله وعبر من المغرب للأندلس مع جيشه ، والتحمت معه جيوش الأندلسيين الذين غابت عنها ملاحم الجهاد ضد النصارى لعقود طويلة، وأقبلت جموع المتطوعين من ممالك الاندلس راغبة في الحهاد ،

والتقى الحيشان : جيش المسلمين ثلاثين الفا وجيش النصارى ثلاثمائة الف في وادي الزلّاقة وكانت ملحمةً عظيمة ،،،

اشتبك الجيشان وكان الاندليسيون في المقدمة ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصبروا امام كثرة الأعداء ، وسقط الشهداء ، وكاد النصر يتحقق للأعداء ،

عندها دخل ابن تاشفين المعركة بحركة التفاف محكمة خلف جيش النصارى ، واستحّر القتل في جيش التصارى وجُرح قائدهم الذي فرّ مع بضعةٍ وثلاثين فقط من جيشه الذي أبيد عن بكرة أبيه ،

وكان نصرا مؤزرا للمسلمين أمدّ في حكمهم للأندلس أربعة قرون أخرى ، وعادت طليطلة بعدها للمسلمين وتوحد المسلمون بعد ذلك تحت لواء المرابطين لتتحقق سنة الله تعالى ووعده

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)